٣ـ محاورات أفلاطون

معذرة سقراط

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

— لعلك يا صديقي مليتس تريد أنا كسجوراس [1] بهذا الاتهام . ويظهر أنك تسيء الظن بالقضاة ، فتحسبهم بلغوا من الجهالة حداً لا يعرفون معه أن تلك آراء مسطورة في كتب أناكسجوراس الكلازومينى ، وهي مليئة بمثلها . وتلك التعاليم هي التي يقال إن سقراط قد أوحى بها إلى الشبان ، والواقع أنهم عرفوها من المسرح الذي كثيراً ما يعرضها ، وأجر المسرح لا يزيد على دراخمة واحدة ، ففي مقدور الناس جميعاً أن يشهدوها بهذا الأجر الزهيد ، ثم يهزأون من سقراط كلما نسب إلى نفسه تلك الأعاجيب ، ولكن حدثني ياملتس ، أفتظن حقاً أني لا أومن بآلـه ما ؟

— أقسم بزفس أنك لا تؤمن بكائن من كان

— أنت كاذب يا مليتس ، ولا تستطيع أنت نفسك أن تصدق هذا القول ، ولست أشك أيها الأثينيون في أن مليتس هذا مستهتر وقح ، كتب هذه الدعوى بروح من الحقد والطيش والغرور ، ألم يبتكر هذه الأحجوبة ابتكاراً ليقدمني بها الى المحاكمة ؟ كأنما قال لنفسه : سأرى هل يستطيع هذا الحكيم سقراط أن يكشف عن هذا التناقض المحبوك ، أم أني خادعه كما سأخدع بقية الناس ؟ فهو كما أرى يناقض نفسه بنفسه في الدعوى فكأنه يقول : قد أجرم سقراط لأنه كافر بالآلهة ، ولأنه مؤمن بهم ، وتلك مهزلة ولا ريب

أيها الأثينيون ! إنه متناقض لاتستقيم روايته ، وأحب أن تتعاون جميعاً على تحقيقها ، وعليك يا مليتس أن تجيب — وأعيد الرجاء ألا تقاطعوني إذا تكلمت بأسلوبي المعهود —

يا مليتس ! هل جاز لانسان مرة أن يعتقد بوجود ما يتصل بالبشر من أشياء ، دون أن يعتقد بوجود البشر أنفسهم ؟ إني أحب منه — أيها الأثينيون — أن يجيب ، وألا يعمد داعماً الى المقاطعة . هل اعتقد انسان مرة وجود صفات الجياد دون الجياد نفسها ؟ أو وجود نغمات القيثارة دون العازف عليها ؟ إن كنت تأبى أن تجيب بنفسك ياصديقي ، فأجيب لك وللمحكمة

كلا ! لم يفعل ذلك إنسان . والآن ، هل لك أن تجيب عن هذا السؤال الثاني : أيستطيع انسان أن يؤمن برسول روحي السعي ، ولا يؤمن بالأرواح نفسها أو بأشباه الآلهة ؟

— إنه لايستطيع

— يسرني أن أحصل منك بعون المحكمة على هذا الجواب ، ولكنك قد أقسمت في دعواك أنني أثق وأعتقد في رسل روحية الآلهية ، وسواء أكانت تلك الرسل قديمة أم محدثة ، فأنا على أية حال أومن بها كما قلت وأقسمت في صحيفة الدعوى . ولكن إذا كنت أعتقد بموجودات الآلهية ، أفلا يلزم أن أعتقد بالأرواح وأشباه الآلهة التي بعثتها ؟ أليس هذا حقاً ؟ مالي أراك صامتاً ؟ إن الصمت معناه الرضى . فما هذه الأرواح وأشباه الآلهة ؟ إنها إما أن تكون آلهة ، أو أبناء آلهة ، أليس كذلك ؟

— نعم هو كذلك

— وإذن فهذا موضع التناقض المحبوك الذي أشرت اليه ، فأشباه الآلهة أو الأرواح هي آلهة ، وقد زعمت عني أول الأمر أني كافر بالآلهة ، ثم ها أنت ذا تضيف أني مؤمن بها ، لأني مؤمن بأشباهها . ولايضيرنا أن تكون هذه الأشباه أبناء للآلهة غير شرعيين ، فسواء أعقبتها الآلهة من الشياطين أو من أمهات آخريات كما يُظن ، فوجودها يتضمن بالضرورة — كما ترون جميعاً — وجود آبائها ، وإلا كنت كمن يثبت وجود البغال وينكر وجود الجياد والحمير . لايمكن أن يكون هذا الهراء ياملتس إلا تدبيراً منك لتبلوني به ، ولقد سقته في دعواك لأنك لم تجد حقاً تتهمني به . ولكن لن يجوز على من يملك ذرة من فهم ، قولك هذا بأن رجلاً يعتقد في أشياء آلهية ، هي فوق مستوى البشر ، ولايؤمن في الوقت نفسه بأن هناك آلهة وأشباه آلهة وأبطالاً

(١) هذه العقيدة التي قالها مليتس عن سقراط هي في الحقيقة رأي في فلسفة أناكسجوراس وكان قد اتهم به هذا بالالحاد لولا أنه فر من أثينا

حسبي ما قلته رداً لدعوى مليتس ، فلا حاجة بي الى دفاع قوى بعد هذا ، ولكني كما ذكرت من قبل لابد أن يكون لي أعداء كثيرون ، وسيكون ذلك دافعي الى الموت لو قضي علي به ، لست أشك في هذا ، فليس الأمر قاصراً على مليتس وأنيتس ، ولكنه الحقد الذي يأكل القلوب ، ويغري الناس بتشويه السمعة ، فكثيراً ما أدى ذلك برجال الى الموت ، وكثيراً ما سيقضي بالموت على رجال ، فلست بحمد الله آخر هؤلاء

سيقول أحدكم : ألا تخجل يا سقراط من حياة يغلب أن تؤدي بك الى موت مباغت ، وعلى ذلك أجيب في رفق : أنت مخطىء يا هذا ، فان كان الرجل خيّراً في أي ناحية منه ، فلا ينبغي أن يتدبر أمر حياته أو موته ، ولا يجوز أن يهتم إلا بأمر واحد ، وذلك أن يرى هل هو فيما يعمل مخطىء أم مصيب ، وهل يقدم في حياته خيراً أم شراً . أترى إذن أن الأبطال الذين سقطوا في طروادة لم يحسنوا صنعاً ؟ فذلك ابن ثيتس الذي استصغر الخطر وازدراه حينما قرنه بما يثلم الشرف . ولما قالت له أمه الآلهة ، وهو يتحفز لقتل هكتور بأنه لو قتله انتقاماً لصاحبه باتروكلس ، فسيدركه هو نفسه الموت . ثم قالت : « إن القدر يترصدك بعد هكتور » فلما سمع هذا ، احتقر الخطر والموت احتقاراً ، ولم يخشهما كما خشي أن يحيا حياة يدنسها العار دون أن ينتقم لصديقه ، فأجاب : « ذريني أمت بعد موته ، فأنتقم من عدوي ، فذلك خير من الحياة فوق هذه السفن ، فأظل عاراً على جبين الدهر تنوء بحمله الأرض » هل فكر أخيل في الموت أو الخطر ؟ فمهما يكن موقف الرجل ، سواء اختار لنفسه ذلك الموضع أم أقامه فيه قائده ، فلا بد أن يلزمه ساعة الخطر ، ولا يجوز أن يفكر في الموت أو في أي شيء آخر غير دنس العار . إن هذا أيها الأثينيون لقول حق

بني أثينا ! كم كان سلوكي عجيباً ، لو أنني عصيت الله فيما يأمرني به — كما أعتقد — بأن أؤدي رسالة الفلسفة بدراسة نفسي ودراسة الناس ، وفررت مما كلفني به خشية الموت أو ماشئت من هول ، وأنا الذي حين أمرني القواد الذين اخترتموهم للقيادة في بوتيديا ، وأمفيبوليس ودليوم ، لزمت موضعي ، كأي رجل آخر ، أواجه الموت . ما كان أعجب ذلك ، وما كان أحقني بأن أساق الى المحكمة بتهمة الكفر بالآلهة ، وكم كنت عندئذ أكون بعيداً عن الحكمة ، مدعياً إياها خاطئاً ، لو أنني عصيت الراعية خوفاً من الموت ؟ فليست خشية الموت من الحكمة الصحيحة في شيء ، بل هي في الواقع ادعاء بها ، لأنه تظاهر بمعرفة ما تستحيل معرفته ، فما يدريك ألا يكون الموت خيراً عظيماً ، ذلك الذي يلقاه الناس بالجزع كأنه أعظم الشرور ؟ أليس ذلك توهما بالعلم ، وهو ضرب من الجهل الشائن ؟ وهنا — أراني أسمى مقاماً من مستوى البشر ، وربما ظننت أني في هذا الأمر أحكم الناس جميعاً — فما دمت لا أعلم عن هذه الحياة إلا قليلاً ، فلا أفرض في نفسي العلم ، وإنما أعلم علم اليقين أن من ظلم من هو أرفع منه أو عصاه ، سواء أكان ذلك انساناً أم آلهاً ، فقد ارتكب إثماً وعاراً ، ويستحيل على أن أتحاشى ما يجوز أن يكون فيه الخير وأخشاه ، لأقدم على شر مؤكد ؛ ولهذا فلو أنكم أطلقتم الآن سراحي ، ورفضتم نصح أنيتس ، الذي قال بوجوب إعدامي بعد إذ وجه الي الاتهام ، لأني لو أفلت فسيصيب الفساد والدمار أبناءكم باسماعهم لما أقول . لو قلتم لي — يا سقراط ، إننا سنطلق سراحك هذه المرة ولن نأبه لأنيتس ، على شرط واحد ، وذلك أن تقف البحث والتفكير فلا تعود اليهما مرة أخرى ، ولو شاهدناك تفعل ذلك أنزلنا بك الموت ، إن كان هذا شرط إخلاء سبيلي أجبت بما يأتي : أيها الأثينيون ! أنا أحبكم وأمجدكم ، ولكني لابد أن أطيع الله أكثر مما أطيعكم ، فلن أمسك عن اتخاذ الفلسفة وتعليمها مادمت حياً قوياً ، أسائل بطريقتي أياً صادفت بأسلوبي ، وأهيب به قائلاً : مالي أراك يا صاح تعنى ما وسعتك العناية بجمع المال ، وصيانة الشرف ، وذيوع الصوت ، ولا تنشد من الحكمة والحق وتهذيب النفس إلا أقلها ، فهي لا تصادف من عنايتك قليلاً ولا تزن عندك فتيلاً ، وأنت ابن أثينا ، مدينة العظمة والقوة والحكمة ؟ ألا يخجلك ذلك ؟ فان أجاب محدثي قائلاً : بلى ، ولكني معنى بها ، فلن أخلي سبيله ليمضي من فوره ، بل أسائله وأناقشه وأعيد معه النقاش ، فان رأيته خلواً من الفضيلة ، وأنه يقف منها عند حد القول والادعاء ، أخذت في تأنيبه ، لأنه يحقر ما هو جليل ، ويسمو بما هو دنيء وضيع ؛ سأقول ذلك لكل من أصادفه ،

سواء أكان شاباً أم شيخاً ، غريباً أم من أبناء الوطن ، لكني سأخص بعنايتي بني وطني ، لأنهم إخواني ، تلك كلمة الله فاعلموها . ولا أحسب الدولة قد ظفرت من الخير بأكثر مما قمت به ابتغاء مرضاة الله ، وما فعلت إلا أن أهبت بكم جميعاً ، شيباً وشباناً ، أن انصرفوا الى أنفسكم وما تملكون ، وبادروا أولاً بتهذيب نفوسكم تهذيباً كاملاً ، وهأنذا أعلنكم أن الفضيلة لا تشترى بالمال ، ولكنها هي المعين الذي يتدفق منه المال ويفيض بالخير جميعاً ، سواء في ذلك خير الفرد وخير المجموع . ذلك مذهبي ، فان كان هذا مفسداً للشبان ، فالله إني مودٍ بالشباب الى الدمار ! أما إن زعم أحدكم أن ليس مذهبي هو ذاك ، فهو إنما يزعم باطلاً . أيها الأثينيون ! سواء لديّ أصدقتم بما يأمركم به أنيتس أم فعلتم بغير ما يشير ، وسواء أأصبت عندكم البراءة أم لم أصبها ، فاعلموا أني لن أبدل من أمري شيئاً ، ولو قضيتم عليّ بالموت مراراً

أيها الأثينيون ! لا تقاطعوني واصغوا إلى قولي ، فقد وعدتموني أن تستمعوا الحديث حتى ختامه ، وإن لكم فيه لخيراً . أحب أن أفيض لكم بما عندي ، فان بعثكم على البكاء فأرجو ألا تفعلوا . أريد أن أصارحكم أن لو قضيتم عليّ بالموت فسيصيبكم من الضر أكثر مما يصيبني . إن مليتس وأنيتس لن يؤذياني ، لأنهما لا يستطيعان ، فليس من طبائع الأشياء أن يؤذي فاسد من هو أصلح منه ، نعم ، ربما استطاع له موتاً أو نفياً أو تجريداً من حقوقه البدنية ، وقد يبدو له كما يبدو للناس جميعاً ، أنه يكون بذلك قد أنزل به أفدح البلاء ، ولكني لا أرى ذلك الرأي ، فأهول به مصاباً هذا الشر الذي يقدم عليه أنيتس — بأن يقضي على حياة انسان بغير حق . لست أكلمكم الآن — أيها الأثينيون — من أجل نفسي كما قد تظنون ، ولكن من أجلكم ، حتى لا تسيئوا إلى الله ، أو تكفروا بنعمته بحكمكم عليّ ، فليس يسيراً أن تجدوا لي ضريباً إذا قضيتم عليّ بالموت ، وإن جاز أن أسوق اليكم هذا التشبيه المضحك ، لقلت إني ضرب من الذباب الخبيث ، أنزله الله على الأمة ، التي هي بمثابة جواد نبيل عظيم ، ثقيل الحركة لضخامته ، ولا بد له في حياته من حافز . أنا تلك الذبابة الخبيثة التي أرسلها الله الى الامة ، فلا شاغل لي متى كنت وأني كنت ، إلا أن أثير نفوسكم بالاقناع والتأنيب ، ولما كان من العسير أن تجدوا لي ضريباً فنصيحتي لكم أن تدخروا حياتي . نعم قد أكون مزعجكم كلما باغتكم فأيقظتكم من تعاسكم العميق ، ولكم أن تأملوا ، إذا ما صفعتموني صفعة الموت ، كما ينصح أنيتس ، — وما أهون ذلك عليكم — أن يهدأ لكم الرقاد بقية حياتكم ، مالم يبعث لكم الله ذبابة أخرى ، إشفاقاً عليكم . أما إني جئتكم من عند الله فهذي آيته : لو كنت نكرة من الناس لما رضيت مطمئناً ، باهمال شئون عيشي اهمالاً طوال تلك السنين ، لأخصص نفسي لكم ، فقد جئتكم واحداً فواحداً ، شأن الوالد أو الأخ الأكبر ، فأحملكم على الفضيلة حملاً ، وليس ذلك ما عهدناه في طبيعة البشر . ولو كنت قد أفدت من ذلك أجراً أو جزاء لكان لذلك مدلول آخر ، ولكن هل تجرؤ حتى وقاحة المدعين أن تدعي أني أخذت أجراً أو سميت إليه ؟ إنهم لن يفعلوا ، لأنهم لن يجدوا لذلك دليلاً . أما أنا فعندي ما يؤيد صحة ما أقول . وحسبي بالفقر دليلاً

يتبع

زكي نجيب محمود

الأسپرانتو Esperanto

هي حلقة الأتصال بين الشرق والغرب . ادرسها وخاطب بها المتكلمين بغير لغتك . الأسپرانتو لغة سهلة غنية وبليغة

أرسل في طلب النشرة نمرة ٣٠ وكذلك « المفتاح » الذي يحوي أجرومية هذه اللغة ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة وهو يرسل نظير ٢٠ مليماً طوابع بريد أو قسيمة بريد للمجاوبة

مدرسة الأسپرانتو بالمراسلة لمتكلمي اللغة العربية

ص . ب ٣٦٣ بورسعيد — القطر المصري